

حوار حول الوجود والألوهة

شخصيات المحاور:

صونيا

ليلى

ربيعة

حسام

سليمان

حسام: لأول مرة نلتقي على غير موعد تحدده دعوة كريمة من السيدة صونيا، لا موضوع للحوار معلوم ومبرمج ولا منهجية منطقية قاسية تتمحور حولها الأحاديث. دعونا نمارس جنون الكلمة، نخبط في أحاديثنا خبط عشواء، نقول كل ما يمرّ على شريط مخيلتنا، نحلم بصوت مسموع. دونما حرج، فلا لباقة آداب صالونات ولا كياسة طبقات مخملية ربيعة: كأني بك تريد أن تقول دعنا نتمتع باللذة الوحشية للكلمة وهي تجرح فتقطع فتتطاير أشلاء ما يصح وما يجوز وما يليق وما أمر به المعروف وما أوصى به الحكماء والوعاظ

صونيا: أو كأني به يريد أن يقول فلنخرج من تقاليدنا وعاداتنا وآدابنا السلفية كما تخرج الحيّة من جلودها ولنمارس جنون التفكير والتعبير، فالحياة بدون إبداع يولد من رحم الجنون لا تستحق أن تعاش سليمان: أنتم تظلمون الرجل وتحملون كلامه ما لا يحتمل، إنه بكل بساطة يريد أن يقول كل ما هو مخزون في الذاكرة من تقاليد وعادات وأفكار جاهزة، ليست إلا تاريخا بغیضا يشكل قيودا في أقدام الحياة، فالحياة تخلق نفسها باستمرار وما علينا إلا أن نمسك باللحظة الحاضرة لنعيشها فالماضي إبتلعه العدم والآتي قد لا يأتي أو قد لا نكون نحن قادرين على الوصول إليه

ليلي: حسام دعانا الى الجنون وسليمان لبّي الدعوة سريعا. الشعوب تتفاخر بتاريخ حضاراتها وتستقي منه لتبني حاضرها وتبدأ من حيث انتهى الآخرون وسليمان يعتبر التاريخ قيودا في أقدام الحياة يحدّ من تحركها بحرية وطلاقة فهو يدعو الى كسره وترك الحياة ترخي وتزبد، تصول وتجول وتخلق نفسها بالإستمرار

أنا أو من حق الإيمان أن الحياة أزلية أبدية لا بداية لها ولا نهاية :سليمان فلا يحدها حدّ تقسيم زماني أو حدّ تقسيم مكاني ولذا أقول دعونا لا نفتريء على الحياة ونحبسها في قماقم الطقوس المقدسة والتاريخ الذي يكون في أحاد جوانبه إلهيا علويا ينسحب على غيره من الأزمنة فيسود الظلم في هيمنة القوي على الضعيف والمدجج بالأيدولوجيا على الأعزل.

صونيا: أراك تلف أفكارك بعباءة من الغموض لنضيق في تشعباتها ونفقد بالتالي قدرتنا على التحاور. كيف تقول إنّ الحياة تخلق نفسها باستمرار كل الناس قالت قبلنا ولا زالت تقول إنّ الله خلق الدنيا في زمن معلوم فعملية الخلق برأيهم هي حدث تاريخي وأنت تريد أن تلغي التاريخ فتلغي هذا الحدث.

ليلي: حتى علماء الفيزياء يقولون إنّ حدث إنفجار الكون وتمدده حصل في لحظة ما في زمن تاريخي ما

حسام: كيف تحشون رؤوسكم بهذا الهراء والزمان ليس إلا مقياس مقدار الحركة التي هي حركة كوكب الارض حول الشمس. أيكون هناك زمان والأنفجار الكوني لم يحصل بعد وكوكب الارض لم يتشكل ليدور حول الشمس؟

ربيعة: الزمن المعنوي يا صديقتنا حسام. الزمن المعنوي الذي سماه متفلسفو الشرق الخرفون الدهر. أعادنا الله من صروف الدهر وتقلباته ومفاجآته

صونيا: إذن هناك زمن وهناك دهر والدهر يحيط بالزمن الذي هو بداية الحركة.

سليمان: ولكن الحركة ليس لها بداية ولن يكون لها نهاية. الحركة هي جوهر الحياة ولذا قلت سابقا إنّ الحياة تخلق نفسها باستمرار ليلي: إلا عندنا يا صديقي، لقد توقفت عقارب ساعة الزمن على ما فعله هولوكو وتيمورلنك وما قاله الغزالي في إحياء علوم الدين رغم أنه تصوف في بلاد الشام إبان الإجتياح الصليبي، تلك الفترة التي كانت أمّا لكل الزمن اللاحق ولم يستثره الحدث إطلاقا فاعتبره فقاعات صابون يدخل في باب الإعراض وفكره الجليل منصب كليا على الجواهر فلا وقت عنده للأعراض.

سليمان: هذا ما أردت أن أعبر عنه تلميحا فصرحت به ليلي بكلام أبلج وضّاح. نحن لسنا أبناء للحياة لأننا لا نعيش خلقها المستمر لحظة لحظة، والأدهى من ذلك أننا لو حاولنا العيش نرى أنفسنا عاجزين عن الإمساك باللحظة الحاضرة. ماضينا يضغط علينا بقساوة، يرتهننا عبيدا لأحداث قد

لا تكون حدثت كما تروى لنا الآن وهبها حصلت فنحن نرويها بطريقة نخرجها بها عن إطار إنسانيتها لنجعل من أبطال أحداثها مخلوقات لا يملكون الأبعاد الإنسانية التي نملكها من صراع بين الرغبة والواجب وبين البطولة والدناءة في نفس اللحظة. أي صراع بين الشيء وضده تحت مظلة وحدة الهوية. هذه الإنسانية نحن نخاف منها ونستبطنها في داخل ذواتنا ونبني فوق خلجاتها أسوارا من الطين والإسمنت خوفا على الحقيقة من رؤيتها.

حسام: كلكم لا تملكون مرح النفس وتوثبها الى عالم من الأفكار الملونة المتوهجة بخفة الشباب ونزاقته وحلاوة شطحاته الرؤيوية. تضيعون بهجة الفرح بالعبارات الملتوية. فساعة تعبرون عن عقدكم بالإنفجار حقا على ماضٍ مضى ولن يتكرر أبدا، وساعة تمتشقون سيف الماضي لتقطعوا به ما تكرهون من براعم الحاضر التي توشك أن تتفتح. أيها السادة هذه قذارة تبعث على التقيؤ. دعوا الخلفيات الفردية والجماعية وانطلقوا باتجاه النور تماما كما ينطلق الفراش، وشموا رائحة الحياة واتبعوها تماما كما يشم قطا الصحراء رائحة المياه. الحياة هي جنتنا. فلنعشها بزخم، بانجذاب، بتفاعل، بفرح عظيم

صونيا: حسام يحس أفكاره ويعيشها بكل نبضة من نبضات قلبه. لقد لحظته وهو يتكلم فرأيت شعره يزداد لمعانا عيناه تتوهجان نارا ونورا. البارحة وأنا أمارس رياضة المشي تحت ظلال الصنوبر رأيت بعض إسفلت الشارع منتفخا، قلت لنفسى أفّ لأولئك المقاولين المستهترين بالمصلحة العامة، أجابتنى صديقتي هذا فطر ينبت تحت الإسفلت فيرفعه. تحققت من المعلومة فوجدتها صحيحة. عندها باركت الحياة، الفطر الحيّ بنعومته الإسفنجية أقوى بكثير من قساوة الإسفلت. إنه سرّ الحياة

حسام: وكما إسفلت الطريق ترفعه رعشة الحياة في حبة فطر، أنا بدوري ترفعني رعشة الحياة التي أتمسها في شفتي صونيا وغمازتي خديها والبسمات التي تسيل منى وسلوى فأشعر أني في قلب الغبطة والغبطة في قلبي

ربيعة: تتحدثون عن القلب الراعف النابض برغبات الحياة المحمومة ثم

تحدثون عن الكلمة التي تجسدت منذ البدء لحما ودما إنسانيا على أرض
المادة تلعب لعبة الحركة الدائمة وتتغير باستمرار في الوقت الذي تنجذب
فيه وتتواصل مستمر أيضا الى ألوهية المطلق تحفزها المعرفة حيناً
والعرفان أحياناً. أين العدل الذي هو نفسه الاعتدال؟
ليلي: تعودون الى العبارات الملتوية أفّ ولهذه الباطنية المتحجرة في
تربة هذا الشرق العتيق. دائماً لكل ظاهر باطن ودائماً لكل باطن باطن
الباطن. افتحو قلوبكم ليدخل إليها النور والريح وحتى الفيروسات. فذلك
أفضل من عنف السرايب وتلك البرودة اللزجة التي أتخيلها في أجنحة
الوظاويط.

أتخيل ديمانتس وهو يسأل سقراط في جمهورية أفلاطون : طالما : حسام
أنك ساويت يا سقراط المرأة بالرجل من حيث النوعية فهل ستسمح لها
بممارسة الرياضة بصدر عار تماماً كما يفعل الرجل؟ إن هذا سيثير ضحكا
كثيراً من قبل الشبان وسيكثر الهرج والمرج. وعندها ردّ سقراط بأن الذي
يضحك من رؤية صدر فتاة عار هو الذي يستحق أن نضحك عليه وليس
الفتاة. اهذا هو الانفتاح الحضاري الذي تناضل ليلي من اجله؟
ليلي: يا لك من داعر سليط اللسان بارع كالثعلب في المراوغة إنتهازي
تثير الإشمئزاز ورغم كل ذلك فأنا أؤيد أفلاطون في طرحه، فلتخرج
النساء في بلادنا من مفهوم الحريم وليمارسن المعرفة التي تتجسد
عملاً يكون جسر عبور الى مزيد من التطور والإرتقاء باتجاه الكمال
المطلق.

سليمان: ليس في الوجود إلا ما هو موجود. وكل موجود هو صراع
أضداد داخل هوية الوجود. وهذا الصراع هو الذي يعطي للموجود توازنه
الداخلي. وساعة ينكسر هذا يخسر الوجود هويته ليتحول الى موجود آخر
بهوية أخرى. ولذلك يا صديقتي ليلي وصول الإنسان الى الكمال المطلق
هو لغو في الكلام واستحالة

ليلي: وكيف تفسر إذن إدعاء بعض الصوفيين والأولياء الوصول الى
الله؟

سليمان: إنه وصول الى جوهر نفوسهم المصقول بكثرة المجاهدة والتأمل

حيث تنعكس الأنوار الإلهية فيظنون أنهم في الله ومع الله وتسكرهم ظنونهم فينخطفون من أنا ذواتهم ويشطحون، حتى يجذبهم صلصال آدميتهم بكثافة مادته فيعودوا الى التخبط بصراع الأضداد من جديد وتبقى اللحظة وإن مضت حافزا جميلا للحظة مشابهة لم تولد بعد.

صونيا: ولكن المتصوفين يقولون إنهم يهربون من نفوسهم باتجاه الله ويعتبرون النفس شريرة أمارة بالسوء. فالسفر عندهم هو سفر الى أنت الله هروبا من أنا أنفسهم. ولقد قرأت كلاما كثيرا لبوذيين وجنتيين فوجدت زبدة كلامهم محاولة لإلغاء الأنا والذوبان بأنت الله حتى تلغي الإزدواجية بين الأنا والأنت فهم يعتبرون تلك الإزدواجية المصدر الذي يولد الشر باستمرار لا ينقطع أبدا إلا بالفناء والتوحد.

حسام: أمنيته أن أتوحد بامرأة أداؤها براكين تقذف حمم الرغبات وشفاتها فوهة تتور محمى بالشهوات، عيناها تبرقان، قلبها يرعد، وأحشاؤها ترغي وتزبد وتزيد ولا بأس إن كان معنا برميل من النبيذ المعتق في قبو دير مهجور فتتحد هذه الأنا بالأنت والهوى وتغدو ثلاثة أقانيم في إقنوم واحد.

ليلي: وأنا أمنيته أن تتحرر المرأة الشرقية من عقدة الخجل والإستبطان الذاتي وتهجم على الحياة بكامل طاقتها ليكتشف الرجل ساعتئذ بأنه عاجز كسيح وليس طاووسا يفلش ريشه الملون أو ديكا يزدهي باحمرار عرفه ومغناطيس سطوته.

سليمان: سأرد على صونيا وأنسى استطراد حسام الذي يشبه هلوسات بحار تائه في مياه المحيط لم ير اليابسة منذ عدة أشهر وردة الفعل النزقة التي أبدتها ليلي تحت قانون لكل فعل ردة فعل معاكسة تساويه في القوة أن تعتبر الأنا مصدر الشرور ومحورها وإفناؤها تباشير وصول الى الحقيقة المطلقة معلومة خاطئة بل مرعبة بل مدمرة. الأنا هي قيس من نور الله الشعشعاني، إنها الجوهر الذي يختزن كل خصائص العقل الكلي سيّد هذا الوجود، كما تختزن قطرة من ماء البحر خصائص البحر برمته. كراهية الأنا هي التي أوقعتنا في الشرور والمظالم لا محبة الأنا. فعندما يكره الإنسان نفسه يكره جنسه الأدنى الإنسانية ويكره جنسه

الأعلى الحياة والوجود. أنا لا أستطيع أن أتصور إنسانا يكره الإنسانية والوجود ويحب الله إلا إذا اعتبرنا الله عدما وحاشاه من ذلك لأنه هو الوجود الحق والموجودات كلها يتحقق وجودها بالفعل بقدر ما تأخذ من فيض نوره الشعشعاني ونعمة تأييده عبر ابنه البكر العقل الكلي منظم هذا الوجود على قانون السببية حيث يتبع كل سبب سببه وتعود كل علة الى معلومها وكل نتيجة الى علتها.

صونيا: لكي نغدو من الله قاب قوسين أو أدنى علينا أن نحب أنفسنا ونسعى الى تحقيقها بالإنجذاب الى قوانين العقل الكلي. ما أروع هذا الكلام وما أشد غبظتي به لو كان صحيحا. منذ نعومة أظافرنا ونحن نقرأ حكما للقمان ومواعظ لسليمان وأخرى لهرمس وأقوالا للحسن البصري وأخرى للجنيد وشطحات للبساطمي والحلاج وتهويمات لطاغور والمها ريشي وكلها متفقة أن أصل الشر في النفس التي هي الأنا وبأن الخير لا يعم إلا إذا اقتنع بنو البشر أنهم ظلال موجودات وليسوا موجودات، وبأن الله هو الموجود الوحيد الأوجد وموقعهم منه كموقع الأحلام من الحالم. يتها لها أنها موجودة بذواتها وهي في الحقيقة ليست إلا ظلال تهويمات مخيلة ذات الحالم.

حسام: أنا أعلم أن صونيا سيدة أرستقراطية راقية إنعكس رقيها على تناسق أعضاء جسدها فبين دمج العينين وحوّة الشفتين وانقطاع الخصر وتناقل الردفين، أشياء توحى بالرقي والحضارة. لأن الحضارة كما عرفها فولتير ليست إلا ذوقا راقيا وهل هناك أرقى من ذوق السيدة التي توحى للرجل بأجمل الأحلام والأمانى وتثير فيه أقدس الرغبات بإشعاع تلك الدرة اليتيمة التي إسمها الجسد.

حسام أرجوك لا تقطع حبل التواصل المنطقي فالأفكار دقيقة :ربيعة ونحن متلهفون للإمساك بالحقيقة فاسكت ودع سليمان يتكلم

سليمان: إنني أعتقد أن أولئك الناس الذين أوردت صونيا بعض آرائهم يهينون الله ولا يمدحونه فالله الذي أوجد الإنسان ليعرف به في الحقيقة أوجد الإنسان ليوجد به. ألم تقرأوا كلكم عبارة وما خلقت الخلق إلا ليعبدوني أي يعرفوني. كيف يطلب الله من الناس أن يعرفوه إذا لم تكن

نفوسهم العاقلة جواهر مكتملة لها صفة الإستقلالية. ولأن لها صفة الإستقلالية فلها صفة الحرية ولأنها حرة غدت عاقلة ولأنها عاقلة غدت إنسانية. فالعقل ليس إلا القدرة على الإختيار الحرّ والحرية ليست إلا ولو لم .القدرة على فعل الشيء أو ضده وتحمل مسؤولية نتائج ذلك الفعل يملك الإنسان القدرة على معرفة الله لما طالبه الله بتلك المعرفة، والمعرفة أيها السادة لا تكون إلا بالعقل وهذا معناه أننا لا نستطيع أن نعرف الله إلا بعقلنا الحرّ الذي هو جزء من العقل الكلي الذي هو نور الله الشعشعاني الدائم الإشراق، ولذا نحن موجودات حقيقية ولسنا ظلال موجودات، ونحن لسنا أحلاما من مخيلة الحالم الله، بل نحن نفوس عاقلة تمارس علمها وعملها عبر جوارح الجسد المادي وعلاقتها بذلك الجسد علاقة سرمدية لا ينفصم عراها، فالجسد لا يقوم إلا بالنفس والنفس لا تمارس إكتساب العلم والعمل والتطور والإرتقاء إلا بجوارح الجسد صونيا: أنا لا أعترض ولكني فقط أستفهم، هل النفس إذن مصدر الخير والحق وليست أمارة بالسوء؟

سليمان: النفس يا صديقتي وحدة وصراع أضداد يتصارع في داخلها النور والظلام والحق والباطل والعدل والظلم والخير والشر فإذا قوي فيها النور ضعف الظلام وإذا قوي فيها الخير ضعف الشر ولكن لا شر يزول من جوهرها ولا ظلام. ففي حالة إنتصار النور يكمن الظلام في أعماق جوهرها كما يكمن سواد الفحم في الجمر المتوهج. وإذا انتصر الظلام يكمن النور في جوهرها كمن النار في جوهر حجرة الصوان الباردة. وهذا الصراع الدائم المستمر يولد حالة سيلان دائم لا تسمح للأمور بأن تستقر على حالة ثبوتية واحدة. وما يحصل للنفس يحصل للجسد أيضا فهو وحدة صراع أضداد تتصارع فيه طبيعة الحرارة مع طبيعة البرودة والرطوبة مع اليبوسة والصراع دائم والسيلان دائم ولا حالة ثبوتية مستمرة.

صونيا: يا إلهي. وفي أي الأوقات نستريح؟
سليمان: الراحة هي في التوازن الذي يبرمجه ذلك المايسترو العبقرى الذي إسمه العقل.

ليلى: الأجل هذا السيلان الدائم قلت في بداية الحوار إن الحياة تخلق نفسها باستمرار وإن التاريخ ليس إلا قيّدا يحاول أن يحدّ من حركتها؟ سليمان: أنا لست بالأحمق لأتجاهل قيمة التاريخ. فالحياة تخسر الكثير بدون محاورات أفلاطون ومسرحيات شيكسبير وقصص ديستوفسكي ووجدانيات المتنبي ولكن أن نرتهن لأحداث جرت في زمن ما فأثمرت أفكارا معينة ومسلكتيات معينة ونعتبر كل من يتجاوزها من أصحاب البدع إنسانيته مباحة ودمه مهذور وفكره محرّمات هذه كارثة عبادة صنم التاريخ ونحن في هذا الشرق سريعو الإنقياد أكثر من غيرنا الى عبادة الأصنام.

ربيعة: أظن أن الحوار قد أخذ منحى آخر فغدا بمعنى صراع بين السلفية والحدائثة.

سليمان: الفكرة أعمق من الصراع بين السلفية والحدائثة فأنا شخصا مشبع بالثقافة السلفية بل إن الحدائثة نفسها إذا لم تنطلق من إستبحار في الفكر السلفي كانت الأعيب أطفال وشعوذة كما هي الحال في بعض شعرنا الحديث. ولكن الفكرة هي وعي مقولة الزمن والأمساك باللحظة الحاضرة وتقمص روح الزمن فكما هو يخلق نفسه باستمرار نحن أبناءه يجب أن نخلق أنفسنا باستمرار، حتى ونحن نقرأ التراث وما خلد من فكر السلف الصالح، علينا ألا ننسلخ عن حاضرنا الزمني لنتقمص زمن السلف الماضي ونعيشه كحقيقة تقطر بدم الحياة. بل أن نتعامل معه كمواد خام يعاد صهرها لسكبها في قوالب جديدة يتولّد منها وجودات جديدة بهويات جديدة.

صونيا: عرفت الآن ماذا يريد أن يقول سليمان. لأن الحركة جوهر هذا الوجود فالموجودات في صيرورة مستمرة والوقوف على محطة زمنية معينة وعدم السماح بتجاوزها عملية مستحيلة. ونحن بإصرارنا على هذا الوقوف المستحيل نلغي قوانين العقل وإذا ألغينا قوانين العقل نكون قد ألغينا إنسانيتنا لأننا بالعقل اكتسبنا هويتنا الإنسانية.

سليمان: أنت رائعة يا صونيا تستحقين عن جدارة لقب مديرة صالون أدبي.

حسام: ولكن هناك أمر أريد أن أستوضحه من السيدة. صونيا، فطالما أنها قالت بأن الصيرورة المستمرة هي قانون هذا الوجود فلماذا كل نساء الأرض يوقفن عقارب ساعة الزمن ويتشبثن بعمر من الصعب أن يناهز الثلاثين وأكثرهن قد جاوز الأربعين؟

صونيا: كنت أظنك أكثر ذكاء وأنت شاعر ملهم. السيدات يتكلمن دائما عن عمرهن النفسي ولا يخطر ببالهن العمر الجسدي.
حسام: بالنسبة للعمر النفسي أشعر أنني مراهق في الخامسة عشره فساعة أتخيل المرأة زجاجة كوكاكولا وساعة أتصورها بحراً خلجاته مملوءة بالمحار وأنا أغطس وأغطس تفتيشا عن مغاور من الزمرد والياقوت.

ربيعة: حسام أنت دائما تفسد الأمور، دعنا أرجوك في تواصل مع الفكرة الرئيسية. وأنتم أيها السادة جنابكم ترفقوا بمقدرتنا المتواضعة على الفهم. كيف نقول إن الله هو الوجود الحقيقي، هل معنى ذلك ان العدم هو خارج الله وأن الله لا يحيط به. وإذا كان الله وجودا فأرقى ما في الوجود هو العقل فهل الله عقل وإذا كان الله عقلا وسليمان قد قال منذ برهة إن العقل لا يستطيع أن يكتسب علما وعملا إلا داخل إطار الجسد، فهل الله عقل متجسد في إطار اللحم والدم؟ أي إنسان كاملٌ أعذروني إذا ما سألت كل هذه الأسئلة فأنا لا أفعل ذلك زندقة، فالله يعلم أنني مؤمنة حتى العظم ولكني فقط أفكر بصوت مرتفع كما طلب حسام في بداية المحاوره أن نفعل.

سليمان: لا شك أن الله موجود فإذا نفينا وجوده نكون قد أعدمناه وإذا أراد الله أن يتجلى لمخلوقاته فيرونه بعيونهم ويسمعون صوته بأذانهم لتجلى حتما بالصورة الإنسانية لأنها أكمل الصور المخلوقة وأشرفها وأحسنها تقويما. والله لو أراد أن يتجلى لنا بصورة مخالفة لصورنا على حساب قدرته لا على حساب طاقتنا لما شك به أحد من بني البشر ولكانت العبادة والمعرفة له جبرا لا اختيارا ولسقط التفاضل بين الناس ولم يعد هناك مؤمن وكافر ومحق وباطل وخير وشرير وعادل وظالم. والجبر كما تعلمين يسقط الحرية وسقوط الحرية يسقط العقل وسقوط العقل يسقط

الهوية الإنسانية. فالعبادة إذن لا يمكن أن تكون إلا اختياراً حراً عاقلاً
أما ما تقولينه عن العدم فهو كلام لا معنى له فلو كان العدم إنسانياً
موجوداً لأصبح وجوداً. ولو لم يكن موجوداً لما كان لدينا القدرة على
تصور وجوده ولو وهما أو التحدث عنه ولو ظناً

لنمحص الموضوع نقطة نقطة، إذا كان الله هو الوجود، : ربعية
والموجودات كلها في الوجود إذن نحن في الله ومن الله كما كان يقول
البسطامي. هل هذه النقائص في الله ومع الله ومن الله وأنا اعتذر سلفاً
لهذا التصور ولكن هذا هو السياق المنطقي للحوار

حسام: شأهت وجوهكم وشأهت تصوراتكم القبيحة ومخيلاتكم الفاسقة،
ما أهون الفجور الجسدي عند الفجور النفسي إني أفضل أن أقبل ألف
إمرأة لا تسمح لي الأعراف بتقبيلهن على أن أسمح لمخيلتي أن تتصور
هكذا تصورات في الذات الإلهية

ليلى: لا تجعلنا ننخدع بتمويهاتك وزخرفات الفاظك، فمن هو كاذب
بلسانه هو بالقلب أشدّ كذبا ومن هو قذر بجسده هو بعقله أشدّ قذارة
فالباطن لا يصح إلا بظاهره كما أن الظاهر لا يصح إلا بباطنه والإثنان
وجهان لحقيقة واحدة. فلا تبني حسن عقيدتك في الإيمان على ظاهر
مشبوه كما يقول أصحاب الذهب الأسود والضمان السوداء في بلادنا حالياً
حيث يقولون عقائدنا سليمة ومسلكياتنا نبررها بكثرة الأعوان والأزلام
والمتملقين والصائدين للثروة في الماء العكر والذين باعوا مروءة طرفة
وعروة والمتنبي ببرغماتية جان ديوي ووليم جيمس واستبدلوا ثياب خالد
وصلاح الدين بثياب جيمس بوند

دائماً تعبثون بمنهجية الحوار وتحاولون إفساده بالأفكار :صونيا
الأعتراضية، أرجوكم الموضوع دقيق وكلنا لهفة لمعرفة رأي سليمان
سليمان: ليس عجباً أن تحار الألباب في تصور عظمة قدوسيته وديموميته
وقيوميته وأحديته بل العجب أن لا تحار ألبابنا والحيرة هنا لا تعني الشرك
والمروق بل تعني أن عقولنا المحدودة الجزئية أعجز من أن تحيط بعظمة
لاهوته ولكنها مع ذلك قادرة على أن تدرك بعض ذلك اللاهوت. ولو كانت
عاجزة تماماً لما طلب الله منا معرفته وجعل معرفته رأس توحيده لأننا

بمعرفة لنا له نحب، بمحبتنا له نرضى بأحكامه ونتوكل عليه ونسلم إليه جميع أمورنا في السرّ والحدثان إذا ما استطعنا أن نصل إلى ذلك المقام العالي في التوكل والرضى والتسليم والذي هو ثمرة اليقين الكامل ربّيعة: ولكنك قلت أن الأضداد تتصارع في النفس الإنسانية العاقلة تحت وحدة تلك النفس، إذن كيف تصل النفس إلى مرتبة اليقين الكامل ليثمر اليقين توكلًا ورضى وتسليم؟

سليمان: صراع الأضداد متواصل لا محالة واليقين الكامل إستحالة فأنا أسحب عبارتي معتذراً ولكن الشيء يؤخذ بالغلبة فإذا تغلب اليقين على الشك مالت النفس إلى الرضى والتسليم والعكس صحيح إذا ما غلب الإنكار اليقين مالت النفس إلى الحيرة والشكوك وشطت عن قوانين العقل المنزرعة بالفطرة في جبلتنا. ولكن ليس هذا جوابي لك يا سيدة ربّيعة، فأنا أعتقد أن رأي البسطامي وغيره في أننا في الله رأي خاطيء لأننا بذلك نكون قد بضعنا الذات الإلهية أو ألغينا ذاتنا وهذا رأي أصحاب نظرية وحدة الوجود من براهمة ومن لفّ لفهم كابن عربي. يجب ألا ننزل على قشرة الكلام المبهرج، ونقول كما قال غيرنا إنّ الخالق إذا تكثف أصبح خلقاً وإذا تشفّف عاد خالقاً، هذا كلام فارغ فنحن نملك هويات وجودية مستقلة وكاملة لا يمكن أن يحل بها أحد ولا تستطيع هي أن تتحدّ بأحد صونياً: هكذا وبكل بساطة وبكلمتين اثنتين تلغي تاريخاً من التصوف موغلاً في القدم ومن عهود الأورفية إلى الأسينية إلى الهندوسية إلى البوذية إلى أصحاب الشطحات في الإسلام إلى رهبان المسيحية في القرون الوسطى وأخيراً إلى مدرسة المهاريشي التي تصول وتجول الآن في أمريكا وكل بلاد الغرب.

سليمان: دعيني أجيبك عن كل فريق على حدة. أمّا البوذيون ومن لفّ لفهم فنظريتهم تقول أن الإنسان إذا ما تطهر بالمجاهدة والتأمل وسافر إلى الله تحدوه المحبة لا تثقل كاهله ملكية ولا تجذبه شهوة أسرية غدا كالجوهر الصافية القابلة ليحل الله فيها ويكلم الناس من خلالها. وإذا نطق صاحبها نقول نطق الله. هذه أيها السادة هي الحلولية، والحلولية إستهتار بكل قوانين العقل فكيف يحل الله في إنسان يأكل ويشرب وينام

ويتغوط ويتعرض للشيء وضده وتؤثر فيه عناصر الطبيعة من حرارة وبرودة ويخضع لقوانين الجاذبية وله وزن وظل وطول وعرض وإذا تواجد في مكان تخلو منه بقية الامكنة وفي زمان تخلو منه بقية الأزمنة. لعمرى لا يوجد إستهتار بقوانين العقل يفوق هذا الإستهتار وأنا عندما أرد على هؤلاء الناس أشعر بأني أسقط من عين نفسي. أما نظرية الإتحاد التي قال بها البسطامي والحلاج فلها معنى آخر بعيد تمام البعد عن الحلول، وهي لا تتعارض مع الإقرار بالتوحيد الذي هو وجود وتنزيهه. فالإنسان الذي غلبت على نفسه طبائع النور والخير والتواضع والعدل إثر معركة طاحنة كان سلاحها الحاسم المجاهدة ضد شهوات الظلم والفساد والفجور بإرادة حازمة تستقي مبادئها من قوانين العقل الكلي. هذا الإنسان يجد نفسه وبلعمة انخطف شمولية يذوب في الله فيحس وكأن الله قد تجلى في ذاته أو كأن الله متربع على عرش قلبه. ونفسه في هذه اللمعة تشبه بركة ملئت بماء عذب زلال فإذا طلع البدر رأيت البدر وكأنه في قاع البركة فتظن أنه حلّ في البركة وهو في مكانه في كبد السماء، كذلك صاحب النفس المصقولة بالمجاهدة العاقلة تصفو نفسه للحظات على قلب بشر حتى تعود كثافة فينخطف ويرى ما لا عين رأت ولا خطر صلصال جسده ومحدودية تصور مخيلته وجزئية معطيات عقله لتجذبه الى حيث كان، وهذه الفكرة وردت عند أبي يزيد البسطامي في إحدى شطحاته التي تذوق فيها طعم التجلي بالإتحاد فقال سبحانه ما أعظم شأني حتى إذا ارتدّ الى صلصال آدميته عاد وقال سبحانه المعبود الذي يسبح نفسه بلسان العبد.

صونيا: وهل أنت مقتنع بهذا التخريج الذي قدمه البسطامي؟
سليمان: أنا شخصياً أعتبر الإنسان وهو في ذروة انخطفه وفي أقصى توهجات اللمع يتذوق حلاوة المشاهدة والإتصال ولكنه يعلم في قرارة ذاته علم اليقين أن الأنا هي الأنا والأنت هو الأنت لو أراد أن يعدم نفوسنا العاقلة ويذيبها في بحر ذاته القدوسية لما أمدّ عقله الكلي بالتأييد لإيجادها أصلاً. فلنكف عن هذه المهاترات ولنتواضع في محدودية آدميتنا ولنفهم بأننا لسنا إمكانيات آلهية وبنفس الوقت لسنا إمكانيات عدمية. نحن شرف

هذا الوجود وخمير عجينه. كل شيء خلق من أجلنا وكل شيء في خدمتنا لأننا وحدنا القادرون على معرفة بعض خصائص اللاهوت وتذوق بعض حلاوة الناسوت بالتجلي في تلك اللمعات المشهورة. فلندع الإفراط على الطريقة البوذية والتفريط على الطريقة المادية الجدلية فكلاهما على خطأ والصواب في الطريقة الوسطى

ربيعة: لا تظننا مقتنعين كلياً إذا كنا لا نعارض ونجادل ونحتج ونسأل. نحن ببساطة نتأمل ونحلل وفي لقاء آخر سنسأل ونجادل

ليلي: الكلام متماسك منطقياً ولكن المقدمات الخاطئة قد تقود الى نتائج خاطئة رغم التماسك المنطقي، الحمد لله إنّ المحاوره قد سجلت سنعود للإستماع إليها مرة ثانية وثالثة وقد يعقب ذلك الكثير من النقاش

حسام: أمّا أنا فأقول لحاكم الله لقد أفسدتم مزاجي، أتيت إليكم والهموم الحياتية تطحنني وتذريني، قلت لنفسني: محادثة أناس أذكياء تدخل بعض السرور الى قلبي وتكون عزاءً جميلاً يبلسم جراح فشلي الإقتصادي المروع وكنت أعلل نفسي ببعض الدعابات والفكاهات مع القليل من الخمرة وكثير من الضحك فإذا بكم تدخلون في حواركم الى الحرم الأمين الذي لا يحق للإنسان أن يدخله إلا نظيف الكف واللسان والضمير، سامحكم الله لقد زدتم همي هما وترحي ترحاً